قبضة الحديد

اكتب قلمي والعن كفي
فجّر ، فجّر صمت الورق
الدمع سيحصد أهدابي
والليل يغازله أرقي ! !
وأنا قد جعت... وفي وطني
وظمئت لاشرب من عرقي !
شيء مجهول يخنقني
...يبست كفاه على عنقي
اكتب قلمي ... وضح وضّح
اني بعثرت على دربي
ابليس يقهقه في أذني
والخوف يعشش في قلبي
اكتب ، اني منتظر
لقد حلو ... لقد عذب
لكن لو تكفر ساعاتي
فسيكفر بالدنيا ربي
اكتب قلمي ... ألهب عمري
فالشعر رماد في بلدي
كفى المجروحة تضنيني
أترى يا جرح يشع غدي ؟
اكتب . لا تأبه بنزيفي
... جرحي قد ألفته يدي ...
اكتب ، ان نفدت أوراقي
...ما أحلى الخط على الكبد

قرطاج جمال الدين حمدي

نحن امة قد تاصل فيها النفاق . نحن امة . يا قرية الجبن والخوف . ثم امتد به البصر الى الفضاء حيث لا قبرة وصرخ بكل قواه : لقد فددت ـ فددت ف د د ت . حينئذ . حينئذ انبزق على الرمل مغمضا عينيه كان ذلك حين اختطفه المنحدر . حين قد ركب الى القاع وقد تجمد تفكيره في نقطة معينة هي : ما معنى ان نقول : كش مات ؟

وجد نفسه في المنحدر جالسا على فوتاي مريح أمام ثلاثة رجال لهم وجوه قردية وتذكر اسئلتهم له عن الصغيرة والكبيرة من حياته وقد أمسك أحدهم بملف ضخم مكتوب على الصفحة الاولى من غلافه اسمه باحرف سوداء وتذكر . قال له المحقق : انت تعرف جيدا ما معنى الا تكون مخيرا في تفكيرك ، وانت تعرف جيدا ان القانون يعاقبك على افكارك القابعة في ركن ما من رأسك اذا كانت مخالفة للقانون والعرف والعادة والتقاليد والاخلاق العامة والاداب الخاصة . وانت تعرف جيدا ما معنى مخك وتنظيف عقلك وتشييح ريقك مما علق به من الجراثيم . وتذكر جيدا آلة التسجيل التي اسمعته خطبة لاحد الامراء الداعين بجمهورية واقعية افلاطونية من مبادئها لو كانت النظافة من الايمان لكان الوسخ من الشيطان ، ولو كان من غشنا ليس منا لانتفت العلاقة بين الماء والبحر وبين السبخة والشط بين الفعل والفاعل .. ثم تابعت عيناه تحليق الحداة والقبرة في اعماق الفضاء .

ولكن انتباهه الى الرمل عاوده . فاخذ يتحسس باصابعه حبيبات الرمل . يقال انها ذهبية . وامتزجت باصابعه مادة لزجة عالقة بحبيبات الرمل عجب لوجودها والطقس قائظ . عندما أمعن النظر في السفح الذي انحدر اليه ، تبين ما تجمع فيه من قش وبقايا أوساخ قد جمعت بينها الريح في هذا المنحدر . وعانق قذارة السفح . لم يشعر بالغدة . غاصت اصابعه في الرمل الممتزج بالقذارة وغاصت في قلبه عاطفة جارفة تشعره بانه من هذا السفح قد خلق وان الطمع في القمة جريمة وان القرية لن يصلح حالها الا اذا أزيح هذا العرق من الرمل واستوى اعلاه بأسفله . انغرزت اصابع يديه في الرمل ، وغاصت في قلبه عاطفة الانتماء . ثم حمل الرمل بكلتا يديه ثم عفر به وجهه وقد تسارعت دقات قلبه وانغرزت في عينيه صورة حوت . انبثق الحوت من بركة ماء راكدة كان يطمح الى وصولها . حرك انبثاق الحوت الماء قال الحوت : انا الحوت الذي التهم يونس ، ويونس الان في جوفي . وجوفي جوف صحراء .

قال المعانق للسفح : وهذه السبخة كانت بحرا . ومنذ التهم الحوت يونس أصبح البحر سبخة يتنفس في اعماقها الصمت والبرد والقيظ . كذلك حلمه على يونس ان يعتزل الناس في جوف حوت ، في جوف صحراء ، في جوف سبخة .

« قد يلتجيء اليقطين الى ذراعي سنديانة فلا تغطيه . وقد تفتح سمكة فاها لتلتهم البحر . وقد تتعطل مسام النسيم عن التنفس . فيشعر اليقطين في البحر بالاختناق . وتشعر سمكة في غصن طرفاء بالبرد . ولا السماء تحمل السمكة ولا الارض تحلم بالطرفاء . فتضمحل من الافق صورة العدل والحرية . وتبقى صورة الزمهرير فصيحة . الزمهرير المتفتت في شرايين الليل والنهار . والثلج المتفتت في السواعد العارية . والصقيع المتفتت في الاقدام الحافية . فتبتسم الطرفاء للبرد وترفص اغصانها رقصا . ويكفهر وجه السمكة لشعور عميق بالدفء . فيرتعش الحوت في البحر وتوشك ريح صرصر ان تهب لولا ان ترى برهان ربها فيسمع لتدحرجها . ونقول السمكة ليتني كنت حوتا فآكل على مائدة كبيرة . وهي تحلم بالبحر والبحر لا يعلم بحالها ، لان يونس في أعماق اليم يحتضر . لان يونس في اعماق الليل محتضر ويونس في اعماق الليل تغمره السكينة ، وفي جوف اليم عشب ، وفي جوف الحوت صحراء يفور دمها وشجرة تدعى اليقطينة وطرفاء متفسخة الشكل . يا عري الاراضي السبع والكواكب التي لا عد لها متى ننسكب الافق دمعة في جوف صحراء ؟ فلا تنبت البثور على فجر جميل ولا يتبقع الصبح بالسواد . يا انسلال الغد من امس كان يدعى يونس ويا انطفاء اليوم . »

بمنع عليك بلوغ البركة المتجمدة . ويمنع عليك مغادرة السبخة . ويمنع عليك عدم الاعتراف ، ويمنع عليك عدم الاقتناع . ثم انطلقت القبرة تسرسط من جديد . ثم انطلقت تحلق بجناحيها في الفضاء منغرزة في طبقاته العليا . وقد امتلأ وجهه بالرمل . وقد امتلأ قلبه . ثم انغرزت دمعة في قلبه . لقد تذكر . ثم تمتم : يا قرتي . يا قرية الاعياد والابطال .

ابراهيم بن مراد